

نوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس ٤ : الصحابي عمر بن الخطاب

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠١-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أيها الأخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأهلاً ومرحبا بكم مع بداية هذه الحلقة الجديدة من برنامج صور من حياة الصحابة.

الحديث اليوم عن صحابي جليل جسد في حياته قيم السماحة والعدل، والنبل، والشجاعة، وكان مثلاً يحتذى في الإيمان إنه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

يسعدنا أيها الأعزاء أن نلتقي فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، والمدرس الديني في مساجد دمشق، أستاذ راتب أهلاً بكم ومرحبا.

الأستاذ:

أهلاً بكم ومرحباً أستاذ جمال.

المذيع:

يا ليت أستاذ راتب مع بداية هذا الحديث أن نسلط الضوء بشيءٍ من الإيضاح حول شخصية سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه.

الأستاذ:

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عملاق الإسلام لقد جسد هذا الخليفة العظيم بسلوكه قيم الحق والخير، في أيها صورها جسدها بموافقه وأحكامه، فكان بحق بطل مبدأ، مضى نحو تحقيقه من دون أن ينظر إلى الثمن.

ففي خلافته جاءه إلى المدينة جبلة بن الأبيهم آخر ملوك الغساسنة، يعلن إسلامه، يرحب به عمر، لكن بدويًا من فزاره يدوس إزار الملك الغساني، في أثناء طوافه حول الكعبة.

المذيع:

من دون قصد.

الأستاذ:

من دون قصد طبعاً، فيغضب الملك غضباً شديداً، ويلتفت إلى هذا البدوي فيضرره ويهاشم أنفه. ماذا يفعل هذا الأعرابي؟ ليس أمامه إلا إن يشكوه إلى عمر شكاوى إلى عمر !.

فقال سيدنا عمر: ائتوني به.

فلما مثل جبلة بن الأبيهم في حضرة عمر.

سأله يا ابن الأئمهم، جاءني هذا الصباح مشهد يبعث في النفس المراة بدوي من فزاره، بدماء تنظم، بجراح تتكلم، مقلة غارت وأنف قد تهشم، وسألناه فألقى فادح الوزر عليك، بيديك، أصحى ما ادعى هذا الفزارى الجريح.

أخ جمال هذا الحوار صاغه أحد الشعراء شعراً، آثرتم النص الشعري.

فأجاب جبلة: لست من ينكر أو يكتم شيئاً، أنا أذبت الفتى أدرك حقي بيدياً.

قال عمر: أي حق يا ابن أئمهم، عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم، عند غيري جبهة بالإثم بالباطل تلطم، نزوات الجاهلية ورياح العنجوية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس لدينا أحرار وعيada، أرض الفتى، لا بد من إرضائه، مازال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك وتثال ما فعلته كفك.

قال جبلة متوجباً !! كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟! هو سوقاً من عامة الناس، هو سوقه وأنا صاحبه تاج، كيف ترضى إن يخر النجم أرض، كان وهماً ما مشى في خلدي أنتي عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني.

قال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز، عالم نبنيه كل صدع فيه، بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصلوک تساوى.

المذيع:

أستاذ راتب، هذه الصورة عن عدل سيدنا عمر رضي الله عنه الذي سمي بالفاروق حباً وهذه صورة من صور هذا الصحابي الجليل حباً لو نتحدث عن صورة في رحمة سيدنا عمر رضي الله عنه.

الأستاذ:

تعليق قبل أن نتحدث عن رحمته، تعليقي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببعد نظره، أدرك أن التضحية بأكبر شخص، أفضل ألف مرة من أن يضحى بمبدأ، المجتمعات تتنهى حينما تتهاجر مبادئها ضحى بجبلة ملك العساسنة وكانت هذه التضحية عنده أهون من أن يضحى بمبدأ في الإسلام وهو العدل.

المذيع:

نعود إلى رحمته، رحمة سيدنا عمر رضي الله عنه.

الأستاذ:

كان في الحديث عن رحمة هذا الخليفة العظيم قصص كثيرة من بعضها كان مرة مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف، يتجلolan في المدينة، فرأوا فاقلة قد أقامت في ظاهر المدينة. فقال له تعالى نحرسها لوجه الله، جلساً قبلة القافلة، فسمع عمر بكاء طفل فتوجه إلى أمه وقال أرضعيه، فأرضعنته، ثم بكى ثانية، وتوجه إليها ثانية وقال أرضعيه، فأرضعنته، ثم بكى ثالثة عندئذ أدرك عمر أنها لا ترضعه تظاهرة برضاعه، فذهب إليها وكان عصبي المزاج.

قال: يا أمة السوء ألا تررضعنيه ؟

قالت: ما شأنك بنا ؟ ومن أنت ؟ إبني أقطعه.

قال: ولما ؟

قالت: لأن عمر لا يعطيها العطاء إلا بعد الفطام.

تروي كتب السيرة أنه ضرب جبهته، وقال ويحك يا عمر كم قتلت من أطفال المسلمين، توجه إلى المسجد وصلى الفجر بأصحابه، ولم يستمع أصحابه إلى نبرات صوته من شدة بكائه، كان يقول ربي هل قبلت توبتي فأهني نفسي أم ردتها فأعزّيها، وأصدر من توه قراراً عمه على الأ بصار، بأن كل مولد ينال العطاء عند الولادة لا عند الفطام.

مرة أمتّع عن أكل اللحم أشهر طويلاً، بسبب مجاعة أمت بالمدينة، فخاطب بطنه وقال قرقف أيها البطن أو لا تقرف، فو الله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين.

المذيع:

ماذا عن شخصية هذا الصحابي الجليل بشيءٍ من الصور توضح ماهية هذه الشخصية ؟
الأستاذ:

هذا الخليفة العظيم أدرك أن القيم لا تجزأ، لذلك كان قدوة لمن حوله، ولا سيما من يلوذ به. فكان هذا الخليفة العظيم إذا أراد إفاذ أمرٍ، جمع أهله وخاصته وقال إنني قد أمرت الناس بذلك، ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير إن رأوكم وقعم وقعوا، وأليم الله، لا أؤتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه، إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني.

الآن آخر جمال دقة في هذه الكلمة.

فكان القرابة من عمر مصيبة ! مصيبة ! لأن سينال العقاب مرتين، مرة لأنه يستحقه، ومرة لأنه يلوذ بعمر.

المذيع:

أستاذ راتب هل من صورة تدل على هذا المعنى الذي تقضي به ؟
الأستاذ:

نعم: رأى مرة في الطريق إبلًا سمينة، فقال هذا الصحابي الجليل عملاق الإسلام: لمن هذه الإبل؟ قالوا هي لابنك عبد الله.

فقال أتوني به، وبدأ عليه الغضب.

فلما جاءه، قال لمن هذه الإبل ؟

قال هي لي: اشتريتها بمالِي، وبعثت بها إلى المرعى لتسمّن فماذا فعلت ؟ يعني أي ذنب ارتكبت ؟ أي معصية وقعت فيها ؟

فقال عمر رضي الله عنه: ويقول الناس: ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين وهكذا تسمّن إبلك يا ابن أمير المؤمنين.

المذيع:

إذاً لها حظوة يعني.

الأستاذ:

نعم، قال له: وهكذا تسمن إيلك يا ابن أمير المؤمنين، أتعلم لماذا هي سمين لأنك ابني؟ قال له بعد ذلك: بيع هذه الإبل، وخذ رأس مالك، ورد البافي لبيت مال المسلمين.

المذيع:

أستاذ راتب حبذا لو نختم حديثنا عن هذا الصحابي الجليل بصور أخرى من حياته الكريمة.

الأستاذ:

أخ جمال مرة جاءه رسول من معركة نهوند، فسأله عن واقع المعركة وطمأنه.
لكن هذا الرسول قال: يا أمير المؤمنين مات خلق كثير.

قال من هم؟

قال: أنت لا تعرفهم.

فبكى عمر بكاء شديد، وقال قوله تكتب بماء الذهب، قال وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم، وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم.

هذا الخليفة الراشد كان إذا أصابته مصيبة، كان يقول الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذا لم تكن في ديني، والحمد لله إذا لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذا ألمت الصبر عليها.
وكان يكره المظاهر الفارغة، فمرة شاهد في أثناء الطواف رجلاً قد التقط لوزة، وصاح بأعلى صوته من صاحب هذه اللوزة.

فغناط منه وقال أكلها يا صاحب الورع الكاذب، كلها، وأرجحنا من صوتك هذا ورُعٌ كاذب لوزة،
من صاحب هذه اللوزة؟ قال كلها يا صاحب الورع الكاذب.

من أقواله الشهيرة، لست بالخب ولا الخب يخدعني، أي لست من الخبر بحيث أخدع، ولا من السذاجة بحيث أخدع، هذا الموقف العاقل الذكي.

المذيع:

إذاً هي صور جميلة ورائعة لهذا الصحابي الجليل سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه،
أهلاً ومرحباً بفضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة
دمشق والمدرس الديني في مساجد دمشق نشكركم أستاذ راتب، أهلاً بكم ومرحبا.

والحمد لله رب العالمين